القيم الخُلقية في شعر الفرسان الجاهليين

م. د. أحلام هادي إبراهيم
كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد
ahlam.hadi@ircoeu.uobagdad.edu.iq

التقديم: 2021/4/24
القبول: 2021/6/10
النشر: 2022/3/15

Doi: https://10.36473/ujhss.v61i1.1351

under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licenses

المستخلص

الشعر صورة فنية عاكسة لحياة أصحابه وبيئتهم وتطلعاتهم ورؤاهم وتفاعلهم مع معطيات هذه الحياة ،اختزل في كل صوره والفاظه وافكارهم ومشاعرهم وطرق تعاملهم والشعر الجاهلي جسد وبطريقة احترافية مبدعة حياة الجاهلي محاكياً بئيته والسبل التي اتبعها في تعامله مع تلك البيئة متأثراً ومؤثراً. والتجربة الشعرية الواقعية منسجمة تحمل أثراً فنياً و معطيات دلالية تبين عظمة التجربة ورقيها ،وعمق فكرها وفلسفة أصحابها. والحديث عن القيم الخلقية حديثٌ قديم قدم الإنسانية وتتلقاه القلوب بالمتعة والمسرة لأنه حديث الفطرة، وارتبط بالإنسانية منذ ولادتها حتى يومنا هذا. وشعر الفرسان موضوع البحث ومادته تعددت وظائفه ومعانيه ،وتنوعت دلالته ومبانيه ارتبط بأحوال قومه المادية والعاطفية والفكرية وقضايا واقعهم الوجودية، فالكثير من الإحالات الدلالية في شعرهم ارتبطت بواقعهم ،والسبل التي اتخذوهافي سبيل التعامل والتفاعل مع الواقع المعاش بكل معطياته وتمظهراته .ومن بين هذه السبل تبنيهم لقيم خُلقية تنظم سبل عيشهم في ذلك الواقع المتصارع . وعليه حاول الباحث تطبيق منهجية تحليلية لاستجلاء وكشف النقاب عن تلك القيم الخُلقية المتجسدة فنياً في بنية النص الشعري والمتجسدة بشكلها الفعلي في الواقع المعيش مع بيان قدرة الشعراء الفرسان في تلوين النص الشعري بصور زاخرة متفاعلة مع معطيات البيئة الصحراوية .

الكلمات المفتاحية: الجاهلية , الفرسان ,القيم ,الأخلاق

تمظهرات القيم الخلقية في شعر الفرسان:

(رفض الظلم ونصرة الضعيف)

صوَّر شعر عصر ما قبل الإسلام في بعض جوانبه العربي فرداً ذا إحساس مرهف، يأنف من ظلم أخيه الإنسان، ويرفض الانقياد إلى الجور والحيف والظلم أو يدعوه للمشاركة فيه، فقال عامر بن الطفيل ثائراً ومتمرداً على الانصياع إلى الظلـــــــــــــــــم (الطفيل , 1979 ,ص 75).

قَضــى اللهُ فــي بَـعْضِ المَكــارِهِ للفَتَــى
بِرُشْــدٍ وَفِــي بَعــضِ الـهَوى مَا يُحاذِرُ
أَلَــمْ تَعلَمــي أَنِّــي إذا الإلـفُ قَادَنــي
إلــى الجَـوْرِ لا أَنْقَــادُ وَالإلــفُ جائـرُ

وظهر بين القبائل العربية مَن ندد بظلم الإنسان لأخيه الإنسان والتعدي عليه، مؤكداً حق الإنسان في الأمن والأمان، فكان قول الحق وقبوله، وعدم الاعتداء، ونصرة الضعيف من أخلاق الشجعان، فكان من شيم العربي نصرة الضعيف ورفع الظلم عنه وإجارته في كل أمور الحياة.

بل وجد في عصر ما قبل الاسلام من نصَّب نفسه لنصرة المظلوم وإعادة حقه إذا ما سُلب مؤكداً حق الإنسان في العيش في أمن ورخاء وخير، فمالك بن الحريم ، نصَّب نفسه لنصرة الضعفاء من أقربائه إذ أبى أنسكت على التعدي على حقوق اقربائه وسلبها من قبل الطغاة الجائرين فكانت نفسه لا ترضى إلا عادة الحق إلى أصحابه حتى لو اضطره ذلك إلى استخدام القوة، وبذلك كان قوة داعمة تساند أقربائه وتدعمهم ليعيشوا آمنين، مطمئنين في مجتمعهم، اذ يقول (الطائي, 1981,ص 189)(p189,1981, Alttayiy)

وَآخُـذُ لِلْمَولَـى، إذا ضــيمَ حَقَّــهُ
مِــنَ الأَعيَــطِ الآبِي إذا ما تَمَنَّعَا

فالقوة كانت رادعاً لكل من تسول له نفسه الاعتداء عليه، فهي الدرع الحصين التي يتحصن بها العربي في مجتمعه، كما وإن السكوت على الظلم والاعتداء تشجع الظالم على الاستمرار في ظلمه والتمادي فيه، ففي هذه الأوقات الفارس الجاهلي يتغنى بالحرب ويترنم بنشيدها، وعنترة فارس بني عبس تتمثل في شخصه بطولة الفارس الحربية وترتفع في نفسه

العفة والكرامة، فالجوع المميت والمستديم ليل نهار يطويه الفارس ويقنع به حتى ينال المأكل الكريم الخالي من العيوب والمثالب، وهو المقدم في أهوال الحرب، مقتحماً مصائبها في الوقت الذي يحجم بقية الفرسان ويزوّر الجبان المذعور لشدتها وهولها، ثم ترمق عيون الأبطال بإجلال الفارس الحامي ليشد الجموع ويلم الفرسان، وهناك يقف الصامد ويثبت الشجاع فيستمد من نسب أمه الذي يُطعن به بالقوة والجلد والاندفاع لإثبات علو نسبه وأصالة فروسيته. وهو كما تعلمه الفرسان تعلمه الخيول لأنه أذاق فرسانها المرارة والبطش فتميزت علاماته ووضحت شخصيته لأنه في مقدم الرعيل وعلى رأس الكتيبة لا يعرف التواكل ولا الهزيمة وإنما هو الذي يحمي القوم ويدفع عنهم الذل والهوان حيث يقول عنترة : (عنترة , 1998 ,ص 26)(Antara) 1998, p26)

ولـقد أبيتُ علـــى الطَّـــوى وأظلُّـــهُ

حتـى أنـالَ بِـــه كَريم المأكلِ

وإذا الكَتِيبـــةُ أحْجَمَـــتْ وتَـــلاْحَظَـتْ

ألفَيـتُ خيـراً منْ مُـعمَّ مَخْـــــوَلِ

إذ وجدّ العربي في رفض الظلم والاضطهاد أينما وقع ومقاومته مؤكداً حق الناس في العيش في أمن وطمأنينة وسلام لا تهدده فيها المخاطر ولا المظالم. كما دعا بعض الشعراء إلى عدم ظلم الناس واضطهادهم والبغي عليهم، مؤكدين حق العربي في العيش في مجتمع يأمن فيه ويرفل بالطمأنينة في ظلاله وإلا كانت النتيجة وبالاً عليهم وسيلحقه الضرر والسوء، يقول قيس بن زهير :(العبسي , 1984 ,ص43)(Alabsei, 1984, p43)

تعَلّـــم أنّ خـــيرَ النـــاسِ مَـــيْتٌ

علـــى جَفْـــرِ الهَبَـــاءةِ لا يَـرِيـــمُ

ولَـــولا ظُلْمُـــهُ مَـــا زِلْـــتُ أبكِي

عَليـــهِ الـــدَّهْرَ مَـــا طَلَـــعَ النُّجُـــومُ

وأما اخلاق الفرسان فهي الأخلاق التي يتصف بها العرب جميعاً وإن اختص قسم منهم ببعضها، فالفارس شجاع وكريم وعزيز النفس يحترم المرأة ويدافع عنها ويجير المستجير ويعمل على رفع الظلم (القيسي ,1984 , ص26) (Iqasi, 1984: p26) ، فالمرأة في ذلك المجتمع الجاهلي كانت ضعيفة لا حول لها ولا قوة فعند الإغارة تصبح سبية

من سبايا الحرب، وكانت تدفن وهي حية كما ورد في قوله تعالى))وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)) (التكوير ,ص 8–9)((Altakwir), 9-p8)

فكانت المرأة إذاحان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأس الحفرة فإن ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، ولعل تصوير الشعراء الظلم وما يترتب عليه من عواقب وخيمة، قد يعكس رغبتهم في العيش في مجتمع آمن، يتمتع في ظله الفرد بالأمن والأمان والطمأنينة بعيداً عن الإذلال والترويع والترهيب، فكان من بين هذه القيم عدم البدء بالظلم ليشيع السلام وينتشر، وليستظل الناس بظله الرخي الكريم الوارف، وكيما تترسخ في الأرض قواعد الأمان والاستقرار وبالمقابل عدم السكوت على العدوان، حتى لا يكونوا لقمة سائغة لكل من هبَّ ودبَّ فالقوة كانت معيار الشجاعة في عصر ما قبل الإسلام وحصنه الحصين الذي يتحصن فيه من المخاطر والمظالم، ولم ينسَ مجتمع ما قبل الإسلام الإنسان الضعيف، إذا أوجدت البيئة العربية ضمانات لحمايته وتوفير الأمن والحماية له تمثلت في الأحلاف التي كانت القبائل الضعيفة تلجأ إليها لتكون قوة رادعة في وجه الخصوم والأعداء فقد كانت القبائل الضعيفة تلجأ إلى القبائل الأقوى لمناصرتها ورفع الضيم والاضطهاد عنها (جاسم ,2011,ص10)(Gasim , 2011 , 10)، فارتبطت معها معاهدات تقوم على المعاهدة والتناصر والتآزر، فيكون لأولئك الحلفاء ما للقبيلة من حقوق وعليهم ما عليها من واجبات، فبمجرد دخول القبيلة في الحلف يصبح لها على أحلافها كل الحقوق، ومنها النصرة على الأعداء والحفاظ على أفرادها وسلامتهم، فحب الفرد للسلام دفعه إلى عقد مثل هذه ألاحلاف ومن المتعارف عليه أن العربي كان يلتزم بعدم قتال القبيلة المتحالف معها. وهذا يدل على أمرين: أولهما حبه للسلام ورفضه لمبدأ الحرب، وثانيهما ميله الى تشكيل قوة تساعده على مواجهة التحديات والأخطار والعدوان من القبائل الأخرى وفي العالم المتحضر يلزم الناسُ بالوفاء بما يتعارفون عليه من عهود وصكوك ووثائق مدونة وشهود وعقود مسجلة ....الخ، ولكن البيئة البدوية كانت خلواً من هذه الضمانات المسجلة والوثائق المدونة، فكانت الكلمة ينطقها الرجل عهداً يجب عليه أن يفي بها، والإ تعرّض شرفه للتجريح، كان الوفاء إذاً من أخلاق العرب و كانوا يتعاقدون في المحالفات على الدم والرَّب والماء والطيب، ويتمسحون بالكعبة يريدون توكيد الحلف ومصاحبته بعمل مادي يذكر بالوفاء، وكان الغدر معرة يتجافون عنه، وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواء بسوق عكاظ ليشهروا به (المولى والبجاوي ,1942 ,ص124)(1942, Albajawi Almawlaa & , p124) فالمجتمع الجاهلي كان لا يقبل بظلمٍ ولا ضعفٍ ولا فقر، ومهما يكن من شيء فقد كان الفقراء أكثر عدداً، وكان بعض الفقراء أدق حساً وأبعد أملاٍ أن بعضهم الآخر، فصار الضعيف موضع استهزاء

الآخرين، ويضجر عروة بن الورد من تنكر الناس للضعيف والفقير ويزيده ضجراً أن تجتوي الزوجة زوجها الفقير، لأن هذا أشد مرارة فيقول عروة ((المولى والبجاوي ,1942 ,ص124) (p124 , 1942 , Albajawi &Almawlaa):

ذَرِينـــي لِلْغِنَـــى أَسْعَـــى فَإِنِّـــي
رَأَيْـتُ النَّـــاسَ شَـــرَّهُـــمُ الْفَقِيـــرُ
وَأَهْـوَنَهُـــمْ وأحقَـــرهُم لَـدَيْهِـم
وَإِنْ أَمْسَـــى لَـــهُ نَسَـــبٌ وخَيـــرْ

والعرب بحكم نظامهم القبلي السائد، وطبيعة هذا النظام الاجتماعي الذي كان لا يرحم الضعيف بل يقوده إلى الهلاك والانقراض، هذا النظام كان سبباً من أسباب نشوء القوة وضرورتها، فمدحها العربي ومدح كل ما يؤدي إليها وتغنى بالشجاعة والإقدام وأثنى على كل من اتصف بهذه الصفات وافتخر بحروبه وغزواته ووقائعه، وذم الضعيف وكل الصفات التي يتصف بها كالجبن والتردد والخنوع والتخلـف عن الغزوات والإحجام عن الحرب وعدم الصبر على المكاره ،لذلك كثر في العصر الجاهلي الشعراء الفرسان وهذه الكثرة تعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الحياة الجاهلية القائمة على الحروب التي كانت ساحة ملائمة لازدهار الشعر وانتشارهه وهيأت للشعراء المجال الواسع لانطلاق مواهبهم الشعرية بشتى نواحيها ومختلف اتجاهاتها ومصدراً من مصادر الإلهام أثارت في نفوس الشعراء مختلف الأحاسيس والعواطف (اللهيبي ,2008 ,ص5)(Allahibi , 2008, p5)، فعنترة قال في إحدى إغارته على بني زبيد وهي أحدى قبائل اليمن (عنترة ,1998 , ص26)

ألا مَـــنْ مُبْلِـــغٌ أهـــلَ الجُحُـــودِ
مَقـــالَ فتـــىً وَفـــيٍّ بـالعُهُـــودِ
سـأخـــرجُ للبـــرازِ خـلـــيَّ بـــــالٍ
بقَلـــبٍ قُـدَّ مـــنْ زُبَـرِ الحديـدِ
إذا مـــا الحـــربُ دارتْ لـي رَحـــاها
وطـــابَ المَـــوْتُ للـرَّجُلِ الشَّـدِيـدِ
وَخَـيْلٍ عُـوِّدتْ خَـــوْضَ الـمنايـــا
تُشَـيِّبُ مَـفْرِقَ الطفْـــلِ الـوليـد

ومما تقدم، نستطيع أن نقول إن العرب كانوا يخوضون الحرب من أجل مظاهر الخصب كلها، إلى جانب أسباب أخرى أنها اجارة المستجير التي كانت تكفي للمحاربة في

سبيل إيوائه، ونصره والثأر ممن ظلمه لأن هذه الخصال كان الجاهليون يتفاخرون بها، وكذلك الدفاع عن العرض، والأخذ بالثأر، والوصول إلى لرئاسة والزعامة، والفرسان الجاهليون كانوا يريدون أن يحققوا لهم مكانة في المجتمع الذي كان يحتقر الضعيف والفقير، فأرادوا أنهم فرضوا أنفسهم بالقوة عليه، وهم شجعان لهم القوة والفتوة، وهم يمتلكون الرغبة الملحة في تصدي الأقوياء والعطف على الضعفاء ونصرته، وعروة بن الورد كان زعيم هذه الطائفة، وهو إنسان كُلِفَ بهؤلاء الضعفاء والمساكين، يحب لهم ما يحب لنفسه، فعروة بن الورد كان يعبر عن نفس كبيرة، ومُثُل سامية كانت تنحو منحى النبل الخلقي الذي كان يرتقي إلى درجات رفيعة من درجات الفروسية العربية وقد بلغ به الإيثار والشفقة أنه يعطي لمن يقعد عن الغزو بسبب المرض أو الضعف (القيسي ,1948 .ص 318) هذه صفات الفارس الجاهلي الذي كان لا يرضى بظلمٍ ولا ضعفٍ وإذا ما ظُلم ثأر من ظالمه وإذا ما وجد ضعيفاً أخذ بيده ونصره، كل هذا من أجل السلام والتعايش في بيئة تكفل الضعيف ولا تقبل بالظلم، لأن الإنسان أن حقه العيش في بيئة تحترم حقه في الأمن والحياة الواعدة الرافلة بالطمأنينة، وضعفه يغري الأقوياء للاعتداء عليه وسلب حقوقه ولاسيما في أيام الشدة والعوز، فيكون لقمة سائغة لهم حسب مفهوم القوة الذي كان يحكمهم في عصر ما قبل الإسلام.

الحماية والأمن

حماية القبيلة

إن القبيلة في عصر ما قبل الإسلام كانت واحدة من الضمانات التي وفرت للعربي الأمن، فقد ساهمت في حمايته وتوفير السلامة الشخصية له، لذا كان العربي يشعر بضرورة انتمائه القبلي هذا، فهو انتماء إلى الأهل والقوم، وهم أظفاره ودعائمه، وهذا ما عبَّر عنه عامر بين الطفيل حينما يفخر بحماية قبيلته ورعايتها وصونها من اعتداء المعتدين وأذى الطامعين حيث يقول (الطفيل,1979, ص75)

إنّـــي وإنْ كُـنتُ ابْـــنَ سَيِّد عَامِـــرٍ

وفارِسَـــــهَا الـمَنْدوبَ فـــي كلِّ مَـوْكِبِ

وَلَكِنَّنـــي أحْمِـــــي حِمَـاها، وأتّقـــي

أذَاهَـــا، وأرْمـــي مَـــنْ رَمَاهَا بمَنْكِـبِ

لقد سعت القبيلة إلى توفير الأمن لأبنائها، بنصرتها إياهم إذا ما تعرضوا للاعتداء، وتحمل جناياتهم، فالعصبية القبلية هي التي كانت تجمع بين أفراد القبيلة وهذا يوجب على كل فرد منهم أن ينصر أخاه سواء أكان ظالماً أم مظلوماً. والعصبية القبلية أهم خاصية من خصائص الفروسية في العصر الجاهلي ،وكان هناك التزام جبري من الفارس لحماية القبيلة والذود عنها حقاً أو باطلاً، وهذه العصبية تجري في حياة الفارس مجرى الدماء في العروق لظروف الحياة القاسية من جهة ،ولشدة الآنفة والعزة القبلية المشينة من جهة ثانية ، ولعدم وجود رادع ديني من جهة ثالثة ،وكان تأثير الشعر في نفوس أولئك العرب ووجود الفرسان الشجعان زاد من تأجيج تلك العصبية القبلية ،لأن العربي سرعان ما تأخذه الحماسة وتثيره العاطفة الحربية ، العصبية من الضرورات في عصر ما قبل الإسلام لصيانة وحماية حياة العربي من الاعتداء، فضلا عن أن القبيلة بمثابة دولة مستقلة لها كيانها الذاتي الخاص، شعبها يتكون من أفرادها فقط، ولها وطنها وحرمها الذي تحافظ عليه، وتدافع عنه وتحميه، وكان أفراد القبيلة يتعاونون ويتساندون في الحفاظ على شرف القبيلة لأن شرفهم من شرف القبيلة (أبو ناجي ,1984 ,ص35).

وإذا كان العربي شديد الحرص على أمن أبنائه وأسرته فإنه كان أشد حرصاً على أمن قبيلته، وأكثر سعياً للمحافظة عليها وعلى تماسكها، ووحدة أبنائها ولا غرابة في ذلك، لأن مصلحة الفرد تظل مشدودة إلى مصلحة القبيلة جادر ,1979 ,ص 406) بأكثر من سبب فكيانه وسلامته مرتبط بسلامتها وهذا ما نجده في شعر عامر بن الطفيل حيث عرفت البطولة فيه في يوم فيف الريح*، فقد غزت قبائل من اليمن بني عامر، وانهزمت بنو عامر بعض الانهزام، وثبت عامر بن الطفيل فيمن ثبت، وحث فرسان قومه على الثبات، وأبدى من الجلادة والصبر والفروسية ما جعل قومه يعجبون منه، وهو بعد في ريعان الشباب، وتماسك جيش بني عامر، واستطاع أن يصد هجوم الجيش المنتصر، وجعل انتصاره غير ساحق، وفي هذا اليوم طُعِنَ عامر في عينه، وعُرفت فروسيته وشجاعته، وبعد هذه المعركة أخذ عامر في إبراز مفاخره، وحاول أن يتسنم الرئاسة في قومه، ولنستمع لما قاله بعد هذه المعركة (الدقس,1975 ,ص123)

لَقَد عَلمتُ عُـــلياً هَوازِنَ أَنَّني أَنا الفارِسُ الحامي حَقيقَةَ جَعفَرِ
وَقَد عَلِـــمَ المَزنوقُ أَنّـــي أَكرَّ عَشِيَّةَ فَيْـفِ الـرِيحُ كر المُشَهَّرِ
إِذا اِزوَرَّ مِن وَقعِ الرِماحِ زَجَرتُـــهُ وَقُلتُ لَهُ: اِرجِـع مُقبِلاً غَيرَ مُدبِرِ
وَأَنبَأتُهُ أَنَّ الفِـــرارَ خَـــزايَـــةٌ عَلى المَرءِ ما لَم يُبلِ عُذراً فَيُعذَرِ
أَلَستَ تَرى أَرماحَهُم فيَّ شُرَّعـــاً وَأَنتَ حِصانٌ ماجِدُ العِرقِ فَاِصبِرِ

فَبِئسَ الفَتى إن كُنتَ أَعوَرَ عاقِراً جَباناً فَما عُذري لَدى كُلِّ مُحضَرِ
وقد عَلــِمُوا أَنِّـــي أَكُرُّ عليهمُ عَشِيَّةَ فَيْف الرِّيـــح كَرَّ المُدَوِّرِ
وما رِمْتُ حتى بلَّ صدري ونَحْـره نَجيــعٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُسـيَّرِ
ولـو كانَ جَمْعاً مثْلُنا لـم يهزنــا ولكِنْ أَتَتْنا أُسْــرَةٌ ذاتُ مَفْخَـــرِ أتونا
بِشهرانِ العَرِيضَةِ كُلِّـــها وأَكْلُبَ طُـرًّا فـي لباسِ السَّـنَوَّرِ

لقد بدأ عامر قوله بادعاء عظيم، فهو يزعم أنه الفارس الوحيد الذي حمى حقيقة جعفر، وقد علمت رؤوس هوازن بذلك، وهكذا نرى عامراً راح يدعي لنفسه المكانة العليا في حماية عشيرته، ونرى عامراً بعد أن ألقى قنبلة الدعائية، وبعد عن الحقيقة في بيته الأول رجع ليبين موقفه الصادق في يوم فيف الريح، ذكر قتاله وبلاءه، وثباته بكل رزانة وعقل. لقد كان العربي شديد الحرص على إدامة صلته بقومه لأنهم ملجؤه الأمين، لذا أوصى الشعراء بالحفاظ على هذه الصلة، فالفرد لا ينهض إلا بقبيلته التي فيها مأمنه وحماه، كما أوصى الشعراء بعلاج بعض الأمراض التي إذا ما تفشت في مجتمع فككته وهدمته، فأبناء القبائل مدفوعون في تعصبهم المفرط لقبائلهم بدافع من واقع البادية الذي لا يوفر أمناً للمستضعفين، لذا فقد وجدوا استمراراً لبقائهم وتوفيراً لأمنهم في بقاء وأمن القبائل التي ينتمون إليها معتقدين بإخلاص أن نسباً واحداً يشدهم، لذلك عليهم أن يجمعوا شملهم تحت راية القبيلة ، وهذا ما نجده في شعر عامر بن الطفيل حينما يفخر بحماية قبيلته ورعايتها وصونها من اعتداء المفسدين وأذى الطامعين، ولشجاعته هذه سوّدته عامراً عليها (الطفيل 1979 ,ص 13)

إنـــي وإنْ كنتُ ابنَ سَيّدِ عَامِـرٍ وفارِسَهَا المَنْدوبَ فـي كلّ مَوكِبِ
وَلَكِنّني أحْـمي حِمَاها، وأتّقــي أذاها، وأرْمِــي مَنْ رَماها بمَنْكِبِ

وكان العربي لا يتوانى عن تهديد الملوك، فمهما كانت عظمة الملك وسطوته فإنه لا ينال من مكانة القبيلة في قلب العربي، فهي حماه وأمنه ودرعه الحصين مثلما هم مجده وعزه، فإذا ما أحس أنهم ينوون بقبيلته شراً، ويتحينون الفرصة السانحة للغدر بها والقضاء عليها، فعندئذ نلاحظ أن الشاعر ينبري بذكر ما تتميز به القبيلة من قوة، وشجاعة، وشدة، وشرف نسب لعله يرعوي عن تهديده هذا على نحو ما فعله يزيد بن الخُذَّاق الأسدي ، عندما شعر بنية النعمان بن المنذر الغدر بقبيلته والإغارة عليها (الطائي ,1981,ص 294–296)

نُعْمـــانُ إِنَّـــكَ خـــائِنٌ خَـــدِعُ
يُخْفِـــي ضَـــمِيرُكَ غَيْـــرَ مـــا تُبْـــدِي
فَـــإِذَا بَـــدَا لَـــكَ نَحْـــتُ أَثْلَتِنَـــا
فَعَلَـــيكَهـــا إِنْ كُنْـــتَ ذَا حَـــــرْدِ
يَـــــأْبى لَنَـــــا أَنَّـــا ذَوُو أَنَـــفٍ
وأُصُـــولُنا مـــــن مَحْتِـــــدِ المَجْـــدِ
إِنْ تَغْـــزُ بالخَرْقـــاءِ أُسْـــــرَتَنَا
تَلـــقَ الكتائِـــبَ دُونَنَـــــا تَـــرْدِي

فالقبيلة كانت القوة المنيعة التي تمنع اي اعتداء يقع على افرادها وكان الفرد يعتمد على القبيلة في كل ما له من حقوق، نظير ما كان عليه من واجبات. أن القبيلة كانت تقوم بحماية أفرادها ما داموا ملتزمين بكل الشروط المتعارف عليها في العرف القبلي، فكان الفرد يعيش في كنف قبيلته آمناً مطمئناً، فإذا ما خرج على أعرافها وتقاليدها فإنه سيفقد هذه الحماية ويتعرض للخلع، ويتم الإعلان عن ذلك على رؤوس الأشهاد تعلن القبيلة تبرؤها مما اقترفه من افعال ليعرف الجميع ذلك فلا يؤاخذوها على الجرائم التي يقترفها، وحينئذ يجب على هذا الشخص أن يبحث عن مكان يؤويه أو جماعة ينزل في جوارها، لأن عيش الفرد وحيداً بلا قبيلة تحميه يعد أمراً في غاية الصعوبة، فالتخلي عن النسب يعني الضياع في أرض غير آمنة، وحياة غير مطمئنة، لذا حرص الجاهلي على الالتزام بأعراف القبيلة وتقاليدها وعدم الخروج عليها ألا ما ندر حتى لا يعرّض نفسه لعقوبة الخلع، فالقبيلة كانت ملجأ البدوي وملاذه الآمن في تلك البيئة الصحراوية التي كانت تهدده في كل وقت بالأخطار والمحن (جاسم ,2011 ,38 ص)

حماية الجار

إن الإنسان في عصر ما قبل الإسلام وفي ظل غياب نظام سياسي يحميه ويوفر له ولعائلته وممتلكاته من الاعتداء والانتهاك ، من الطبيعي أن يوجد بعض القيم والأعراف التي من شأنها أن توفر له الأمان في البيئة الجاهلية، كحماية الجار والوفاء بحقه، فللجوار أهمية كبرى عند الجاهليين وتقدير وحرمة، فإذا استجار شخص بشخص آخر أو قبيلة بقبيلة وجاراً ومستجيراً وجبت بلا ريب حمايته.

وحق على المستجار به الدفاع عن مصيره مهما كلفه الثمن، وإلا عدّ ناقضاً للعهد، ناكثاً بالوعد، مخالفاً لتقاليد عريقة عند العرب ، إذ وضع شعر عصر ما قبل الإسلام بين

أيدينا الدليل على أنهم كانوا يجزعون أشد الجزع إذا رأوا جاراً ينكث بعهد جاره، فكانوا إذا غدر أحدهم بعهده مع جاره رفعوا له لواء في مكان عام، يجتمع فيه كثير من الناس، ليشهروا به ويكون عرضة لسهام الهجاء وعورات الكلام، وفي ذلك يهجوا عنترة قبيلة جديلة إحد قبائل طيِىء التي نقضت الحلف الذي كان بينها وبين قبيلة عنترة فيقول (عنترة , 1998 , ص66)

إنّـــا كَـــذَلِكَ يـــا سُـــهَيَّ إذا
غَـــدَرَ الحَلـيفُ نَقُـــودُ بِالحَـــطْمِ
وَبِكُـــلِّ مُـــزهَفَةٍ لَـــها نَفَـــذٌ
بَينَ الضُلـــوعِ كَـــطُرَّةِ الفَـــدَمِ

فالقبيلة كلها ترمى بالمثالب والنقائص في الأسواق والمراسم.

فإذا ما أخل العربي بحماية جاره، فإنه سيتعرض للهجاء والذم، وهذا ما جعل بشراً يسخر من عتبة بن مالك الذي لم يستطع حماية مستجيره من قاتليه يهجوه بقصيدة طويلة هجاءً مراً إذ يقول (الاسدي)

أجَـارَ فَلـمْ يَمّنَـــع مِـنَ الضَّيْمِ جَـــاره
ولا هُـوَ إذْ خَـــافَ الضَّيَـــاع مُســـيَّرُ

ويختم قصيدته ببيتٍ مبيناً فيه أن هذا العار سيبقى وصمة في جبينهم، لن تمحوه الأيام ولا السنون، إذ يقول (جاسم ,2011 , ص18)

فأوفُـوا وَفَـــاءً يغْسِـــلُ الـــذمَّ عَنْكُم
ولا بِـــرَّ مِـــنْ ضـــبَّاء والـزيْتُ يُعْصـرُ

فالحفاظ على أمن الجار كان من الأعراف المقدسة عند العرب، لذا كان لا يكترث العربي في كثير من الأحيان لصلات القربى وأواصر الرحم إذا ما غدر بجاره، ومن ذلك أن غلاماً من بني حنظلة نزل بجوار رجل من بني حُريث، من هذيل، فغدر به وقتله وكان هدفه سلب ثيابه وسلاحه، فهجاه أبو خراش الهذلي هجاءً مرَّاً وعرّض به وبفعلته على الرغم من أن أبا خراش الهذلي تربطه العصبية القبلية بالمجير، إذ يقول (البجادي ,1967 , ج 3 \ ص 75)

كَـــأَنَّ الغُـــلامَ الحَنظَلِـــيَّ أَجارَهُ عُمانِيَّـــةٌ قَـد عَـمَّ مَـفرِقَها القَمْلُ
أَبـــاتَ عَلـــى مِقـــراكَ ثُـــمَّ قَتَلتَهُ عَلـى غَيـرِ ذَنبٍ ذاكَ، جَدَّ بكَ الثُكلُ
فَهَـل هُـوَ إِلّا ثوبُـــهُ وَسِـــلاحُهُ وَمَـا بِكُـــم عُـــريٌ إِلَيهِ وَلا عُزلُ

دَعـا قَومَـهُ لَمّـا اِستُحِلَّ حَرامُـهُ وَمِن دونِهِم عَرضُ الأَعِفَّةِ فَالرَمـلُ
وَلَـو سَمِـعوا مِنهُم دُعاءَ يَروعُـهُم إِذا لَأَتَتـهُ الخَيـلُ أَعيُنُهـا قُبلُ
شَواحِيَ يَمـرِيهِنَّ بِـالقَومِ وَالقَنـا فُروعُ الـسِياطِ وَالأَعِنَّـةُ وَالرَكلُ

فصور لنا الشاعر تصويراً بارعاً استغاثه الغلام بقومه، إذ أخفر جواره ولو كانت قبيلته قد سمعت لهبَّت لنجدته بخيل سريعة قوية.

إن مراعاة حق الجار والحفاظ على أمنه بلغت أن قتل العربي أخاه إذا ما غدر بجاره، وشبيه بذلك موقف الحُصين بن حمام المُرِّي، فخاض غمار الحرب دفاعاً عن جيرانه بني الحرقة، إذ كان الحصين سيد قومه بني سهم بن مرّة بن عوف، وكان الحرقة، وهم قوم من جهينة حلفاء لهم، وكان بطن من قضاعة يقال لهم بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة حلفاء لبني صرمة بن مرّة بن عوف وكان لبني صرمة جار يهودي ولبني سهم جار يهودي آخر، وكان من جيران بني صرمة أيضا بيت من بني عبد الله بن عطفان يقال لهم بنو جوشن، ففُقد رجل منهم فقام أخو القتيل بقتل اليهودي جار بني سهم.

فأمر الحصين بقتل اليهودي الذي كان في جوار بني صرمة وفاءً لجيرانه وحلفائه، فحدث شرخ بين بطون القبيلة الواحدة حاول الحصين أن يصلح الأمور بين المتخاصمين الأخوين وذكّرهم بأواصر الرحم التي تجمع ما بينها، فاقترح أن تأمر كل من القبيلتين جيرانها من قضاعة أن يرحلوا عنها حقناً للدماء، لكن بنو صرمة أصروا على القتال، فاضطر إلى مناجزتهم وحدثت عدة معارك انتهت بانتصار الحصين، ويعبر شعره عن ذلك الصراع النفسي الذي جعله بين رغبتين تناقض كل منهما الأخرى دفاعه عن صلة الرحم والقربى، ودفاعه عن الجوار ولكنه لم يلبث أن نصر الجوار (حسن ,1997 , ص75) فاضطر إلى قتال أبناء عمه رعاية لحرمة الجوار ومنعاً للضيم فكانت الوسيلة الوحيدة لوضع الحق في نصابه، فقال الحصين في ذلك (جاسم , 2011 , ص21)

وَلَمَّـا رأينـا الصَّبْـرَ قَـدْ حِيْلَ دُونَهُ
وإنْ كـانَ يَومَـاً ذا كَوَاكِـبَ مُظلِماَ
صَـبَرنا وكـان الصَّـبرُ مِنَّـا سَجيَّةً
بأسيَافِنَـا يَقْطَـعْنَ كَفَّـاً وَ مِعْصَمـا
نُفلِّـقُ هَامَـاً مِـنْ رِجَـالٍ أعـزَّةٍ
عَلـيْنَا وَهُـمْ كَـانُوا أعـقَّ واظْلَمـا
وَلَـمَّا رَأيْـتُ الـوُدَّ لَـيْسَ بِنَافِـعِي
عَمَـدْتُ الـى لأمْـرِ الـذي كـان أحْزَمَـا

وإذا استقصينا أيام الحرب وجدنا أن بعض هذه الأيام كانت تقع بسبب الجار، وإذا ضممنا إلى جانب حماية الجار ما عُرف به العربي من حب لقبيلته، وتعصب لها وحرص على الأخذ بالثأر استطعنا أن نتصور حياة البدو وعاداتهم وما كانت تستلزمه من حروب وغارات لا يهدأ لهم بدونها بال ولا يقر قرار (القيسي , 1984 ,ص50) ، فالعربي متى ما قبل بجوار أحد، فكان عليه أن يرعى حقه، ويضمن له الحماية ويكفل له عدم الاعتداء عليه وعلى أهله وماله وإلا تعرض للذم والهجاء.

لقد كان العربي يرى في الجوار حقاً وحرمة يدفعانه إلى السعي لرعاية حق الجار، بل كان يعدّ نفسه مسؤولاً عن كل ما يصيب الجار من أذى سواء أكان في جسمه أم في ماله، وهذا يدل على الحرص الشديد الذي أولاه مجتمع ما قبل الأسلام لهذه القيمة الخلقية وما أسهمت فيه من توفير الأمن والطمأنينة ليعيش الإنسان هانئاً بعيداً عن كل ما يهدده من المخاطر، فاعتزاز العربي بهذه القيمة ومراعاتها كان رادعاً لكل من تسول له نفسه الاعتداء على الجار والإخلال بأمنه، اذ سيتردد كثيراً قبل الإقدام على مثل هذا الأمر ويسعى جاهداً إلى المحافظة على الجوار لتلهج الألسن وتذيع فضائله وشمائله في مراعاة حق الجار، ولأهمية الجوار ومكانته العزيزة في نفس العربي كان من أبرز المفاخر التي افتخر بها العرب لأنها بعد ذلك تعكس شجاعتهم وقوتهم في الذبّ عن جارهم وحمايته وتوفير الأمن له، ونجد الفخر بحماية الجار والحفاظ على أمنه قد شمل القبيلة بأسرها، كما كان حال خزاعة، إذ كانت حريصة على من يجاورها، وفيةٌ لحقوقهم، يأمن الجار على نفسه وعرضه وماله، وما كان يجترئ أحد إيذائه أو الاعتداء عليه، إذ يقول قيس بن الحدادية مفتخراً بقومه لصونهم حرمة الجار إذ يقول الاصبهاني , 1955 , ج3\ص154)

خُـزَاعَةُ قَوْمِـي فـإن افتخِـرْ
بِهِـمْ يَـزكُ مُعْتَصَـرِي والنَّسَبْ هُـمْ الـرَأسُ والنـاسُ مـن بَعْـدِهِم
ذُنَـابَى وَمَـا الـرأسُ مـثْلُ الذّنَبْ

فَجَـارُهُم آمِـنٌ دَهْـرَهُ
بِهِـم أنْ يُـضَـامَ وَأنْ يُغتـصَـبْ

فالعربي مد ظلال حمايته على من استجار به، فعاش الجار في كنفهم آمناً سالماً لا يردعه شيء ولا يفزعه. وهكذا نجد أن الحياة القبلية هي التي دفعت الإنسان العربي إلى

حماية الجار ورعايته والذود عنه، فكان للجار الحق في العيش في أمن وسلامة في ظل هذه الأعراف التي حفظت حياة العربي وعرضه وماله من أن يستباح.

التكافل الاجتماعي (الكرم والجود)

لم يكتف العرب بسد حاجات المعوزين من قبائلهم بل زادوا على ذلك برعاية تلك الحاجات الطارئة التي تعرض للناس لأسباب وظروف شتى كرعاية الضيف. اذ عاش العرب في ظل طبيعة قاسية فرضت عليهم أعرافاً وقيماً وجب عليهم حفظها واحترامها، وحق الضيافة كان واحداً منها. فالمسافرون عبر مجاهل الصحراء والضالون في متاهاتها قد لا يجدون طعاماً ولا شراباً يحفظ حياتهم، لذا كانوا يضطرون إلى تخير بيتٍ من بيوت العرب لينزلوا ضيوفاً على صاحبه طلباً للماء والمأوى.

وأخذ العربي على عاتقه إكرام ضيفه لأن إنقاذ النفس من الهلاك يعد غريزة في نفس الإنسان فضلاً عن أن الأيام دول كما يقال فربما يصبح المضيف بعد حين ضيفاً وبالعكس فحياة الصحراء لا تكفي إنساناً من الحاجة إلى صاحبه. ونستدل من أشعا كثيرة على أن إكرام الضيف وإيواءه ورعايته كانت مفخرة اعتز بها العرب وشرفوا بها ومأثرة أشاد بها الشعراء في أشعارهم ومدحوا من اتسم بها فقد رثوا الكرماء الذين راعوا حقوق الضيف وأكرموه في حياتهم حيث يقول عنترة (عنترة . 1998 ص53)

قَوْمـــي صَمَـــامِ لـــمـن أرادُوا ضيْـمَهُـمْ
والقـــاهـــرون لكـــلّ أغلـــبَ صــــالي
والـــمُطْعمُونَ ومـــا علـيْهمْ نِعْمـــــةٌ
والأَكرَمـــونَ أبـــاً ومحـــتِدَ خـــــالِ

فالشخص الذي لا يطعم جاره، وينام مليء البطن وجاره جوعا هذا الجار شخص يستحق الهجاء وهو شخص بعيد عن تقاليد العرب، فالعرب نشأوا في الجاهلية على أخلاق اجتماعية حافظوا عليها، وتمسكوا بها، فكانت لهم مثل عليا يمدحون من يأخذ بها، ويذمون من يحيد عنها وقد عرضنا أن الكرم من الصفات المتوارثة والمقدسة وما زالت هذه الصفات موجودة في العرب.

فالتكافل كان موجوداً بين أبناء القبيلة الواحدة، بل قد نلمس في شعر ما قبل الإسلام لمسات نفتقدها في مجتمعاتنا الراهنة ونعوزها، وإن التحام الأخوة وتعاضدهم تعكس الصورة الصغرى لتماسك أفراد القبيلة وتناصرهم، فالبرُّ كان جامعاً بين أفراد القبيلة فهو الجامع الروحي الذي كان في جميع شبه جزيرة العرب يجمع بين أفراد الأسرة ويجمع أيضاً بين أفراد

القبيلة، فالعربي كان لا يبخل بماله ونواله على أبناء قبيلته، فإكرام أبناء القبيلة وعون الأهل ومساعدة الأقرباء أضحت واجباً يفرضه العرف السائد الذي يستند إلى القيم الخلقية التي بموجبها ينال الفرد المدح والثناء والذم والهجاء، لذا كان العربي يهب لسد حاجة الأقرباء وأبناء القبيلة، فهذا عامر بن الطفيل يفخر قومه (الطفيل , 1998 , 56)

إذا سَـــنَةٌ عَـــزّتْ وطـــالَ طِوالُـــهَا

وأقْحَـطَ عَنهـا القَطـرُ واصفَرّ عُودُهـا وُجِدْنـــا

كِـراماً لا يُحَـوَّلُ ضَيفُـــنا

إذا جَفّ فَـــوْقَ الـمَنزِلاتِ جَلـيدُهَـا

وبذلك يتحقق التكافل بين أفراد المجتمع، الغني يكفل الفقير والفقير يكفل الضعيف، بحيث يشعر كل فرد من أفراد المجتمع بإحساس أخيه وشعوره، وإن ما ينال أخاه من خير أو شر عائد عليه لا محالة، فيعمل كل فرد على تعميق معاني الأخوة يتبادل مشاعر المحبة والمودة، وسعي كل عضو لفك الضائقات وتفريج الكربات ببسط أيديهم بالإنفاق على المحتاجين من أبناء القبيلة والتبرع لهم.

إذ لم يكتف العربي بمساندة أبناء عمه ومؤازرتهم والدفاع عنهم وإنما كانوا يساندونهم في الأزمات والشدائد، ويعطف بعضهم على بعض وإذا ما أهلكت الشدائد ماله، كان لا يتردد في طلب العون من الأقرباء الذين سيسارعون إلى رفده بالمال والعطاء، بل يعمدون إلى خلط مالهم مع ماله، فيصبح المال مشتركاً بينهم فيخلطون فقره بغناهم، إذ يقول بن مشجعة البُولاني (جاسم, 2011 , ص107)

إنّـــي وإنْ كـــان ابـــنُ عَمِـــيَّ غَائِبَـاً

لَـمُقَـــاذِفٌ مِـــنْ دُونِـــهِ وَوَرائِـــهِ

ومُفِيـــدُهُ نَـــصْرِي وَإنْ كَـــانَ امْـراً

مُتَزَحْزِحـــاً فِـــي أرْضِـــتهِ وَسَـمَائِهِ

وَمَتَـــى أجِئْـــهُ فِـــي الـــشَّدَائِدِ مُرْمِلاً

أُلْـــقِ الـــذي فـــي مِـــزْودي لِوعَائِـــهِ

وإذا تَتَبَّعَـــتِ الجَلائـــــفُ مَـالَنـــا

قُرِنَـــتْ صَـــحِيحَتُنَا إلـــى جَرْبَائـــه

(وتغنى العرب في صفة الكرم ورعاية حقوق الآخرين، فكان إذا جاءهم ضيف يعرفونه أو لا يعرفونه قدموا إليه ما يحتاجه وبالغوا في إكرامه لأن إكرام الضيف كان إكراما اماً،

فالضيف يكرَّم غنياً كان أم فقيراً، سيداً كان أم عبداً، رجلاً كان أو امرأة، عربياً او اعجمياً هي صفة حميدة للعرب في الجاهلية) (جاسم , 2011, ص 142).

الكرم والجود من القيم الخلقية النبيلة التي فرضها المجتمع العربي قبل الإسلام وتبناها الشعراء مفتخرين بالترحاب بالضيف، إذ هي خصلة نبيلة وجب على العربي العمل بها ، والرجل الذي لم يكن كريماً يذمه الشعراء، ويقرنونه بمن هو أشد لؤماً، وهو الذي لا ينهض دفاعاً عن عرض أهله وخاصته، زيادة في التوبيخ والطعن فيهم، لأن إساءة معاملة الضيف أو عدم الإيفاء بحقوقه يُعد عاراً ما بعده عار، وهذا العار لا يمكن تطهيره مهما حاول ذلك، وكان كثير من البخلاء يكرمون من نزل بهم من ضيوف ويودون حقهم، خوفاً من هجاء الشعراء لهم، فقد لعب الشعر دوراً كبيراً في حفظ حق الضيافة، إسهاما منه في تحقيق مستوى معاشي مناسب للعرب، فكان اقسى ما يذم به العربي هو اتهامه بالبخل والشح واللؤم، فيحرمون يوفهم رغم امتلاكهم النياق وما تدره من حليب، لذا كان العربي حريصا على أن يكون كريماً لينال إحسان الجميع، فقد لعبت هذه القيمة الدور الكبير في أستمرارية العطاء والتحفيز على العمل بها ، لأن من شأنها أن تدفع بعجلة الحياة الجاهلية التي كانت في عرضة مستمرة لعوامل الهلاك والفناء في ظل عوامل الجفاف ونقص الموارد ،فلا غرابة بعد ذلك ان نجدهم يمدحون الكرماء اصدق المديح، ويثنون عليهم اخلص الثناء، واذا كانوا من قبائلهم فأنهم يفاخرون بهم اعظم مفاخرة ويتباهون به اشد المباهاة، فهذا عنترة يفخر بقبيلته حيث يقول (جاسم ,2011,ص151)

إذا الرِّيــح جــاءَت بالـجَهامِ تَشُلُّــهُ

هذاليـلُــهُ مـثلُ القلاصِ الـطَّرائــدِ

وأَعقَـبَ نَـوْءَ الــمُدبِرين بِغَــبْرةٍ

وقَـطْر قلــيلِ المـاءِ باللَّـيلِ بــاردِ

كَفَــى حاجـةَ فحتى يُريحــها

علــى الـحيِّ مِنَا كُــلُّ أروعَ ماجــدَ

ولعل عروة قد ادرك اقوق الضيف لا تنحصر في إطعامه فقط، وإنما يتحقق بالعناية التامة به ماديا بتقديم الطعام ومعنويا تقديم كل ما من شأنه ان يرفع من قدره ومكانته، فحقوق الضيافة توجب عليه ملاطفته والاعتناء به ، أذ ان من واجب المضيف ان يبقى مع ضيفه يحادثه ويجامله الى ان نام آمناً، مطمئناً، وهي قيمة خلقية نبيلة عُرف بها العربي وتوارثها جيل بعد جيل ، وهذا ما اشار اليه عروة بن الورد في قوله(عنترة , 1998 ,ص16)

فِراشــي فِراشُ الضَــيفِ وَالبَيتُ بَيتُهُ　　وَلَم يُلــهِني عَنــهُ غَزالٌ مُقَنَّـــعُ
أُحَدِّثُـــهُ إِنَّ الـحَديثَ مِـنَ الـــقِرى　　وَتَعلَـمُ نَفســـي أَنَّـهُ سَوفَ يَهجَــعُ

وعلى هذا النحو نجد عنترة فهو سمح المعاشرة يعامل اصحابه بمثل ما يظهرونه له من الخلق الحسن، ولكن هذه السماحة لا تذهب به إلى حد الإفراط والتنازل، فهو يعاقب من ظلمه عقاباً بالغاً لأنه يشعر بالظلم الذي وقع عليه (عنترة ,1998 ,ص16)(p16 ,1998 ,Antara)

اثنــي علــيّ بِـمَــا عَـلــمتُ فَانَّنــي
سَـمـَحُ مُخَـالَـقتِـي اذاكـــمْ أظلــــمِ
فــأذا ظَـلمْــتُ فَــأن ظلمـــي باســـل
مُـــرٌّ مَــذاقُتـــه كـطـعـم الـعَـلقَـمِ

وهو يجود بما ملكت يده، ولكنه يعرف الوجوه التي يبذل فيها الكرم، وتنفق فيها الاموال (عنترة ,1998 , ص16)

فـــاذا شَـــرِبتُ فـانَّنـــي مُـستَهْلـكِ
مَـالِـي وعِـــرْضِـــي وَافِـر لَـمْ يُكَلَّـمِ
واذا صَـحَـوتُ فَمَـا اقصـر عــن نـدى
وكَـمَـا عَـلـمِتُ شَـمَائِلِـي وَتَرُّمِـــي

وعنترة يعفو عند المسائلة ويعف عند توزيع الغنائم، لأنه لم يخض الحرب من اجل الغنائم والاسلاب وعند هذه النقطة تتضح مروءة هذا الفارس وتتجلى بطولته وفلسفته في الحياة ،فتبرز لنا الـ " أنا " كما اعتدنا في شعره علامة لإثبات الذات والرغبة في إشباع تلك الرغبة ،ولكنها بدت متضخمة هنا عند ذكر اسمه على لسان أبناء قبيلته (عنترة ,1998 , ص17

يَـخْبِــرُكَ مــن شَــهَـد الـوَقِيـعة انَّنـــي
اغـشــى الوغــى وأعفُ عَنـد المَغنَـم فــأرى
مَــغـانِـم لَــوْ أشــاءُ حَويْتُهـــا
وَيَـصـدِّنِـــي عَنهــا الـحَيــا وتكـرُّمِـــي

واننا اذا حدثنا عن عروة فأننا نتحدث عن معاناة مخلصة، عاشها الشاعر الجاهلي، وهو يتألم للمجموعة البشرية التي كانت تضيق بأوضاع اقتصادية غير عادلة، ونظم اجتماعية تلوح في جوانبها الفوضى ويسودها الاضطراب.

فمشاركة عروة كانت تقوم على توزيع الطعام للمحتاجين، واشراكهم فيه، حتى إذا امتلأ كأسه وطرقه انسان وجد ذلك مهيأً له، يشاركه فيه، قل او كثر. ومشاركته قائمة على صلة الارحام واعطاء السائل وذوي القربى ومن تحب ضيافته.

وهو بعد هذا لا يكتفي بذكر مناقبه هو، وانما يحاول جاهداً ان يضع يده على العلل التي كانت تتمثل في طائفة من ابناء قومه لاستئثارهم بأنفسهم وحدهم، فيشبعون ويجوع حولهم العشرات.

ولهذا كان عروة يطوف البلاد ليكسب المال الذي يستطيع بذله لمن هو بحاجة اليه واذا لم يستطع تحقيق ذلك الهدف، كان الموت عذره (عنترة , 1998 ,ص17)(p17 Antara, 1998,)

اذا المــرءُ لَــمْ يَطلِــبْ مَعَــاشاً لِنَفسِــهِ

شكـا الفُقـرُ، او لَامَ الصَـدِيق، فِاكثَــرا

ومَــا طَالــبُ الــحَـاجاتِ من كل وَجهَــة

مــن الــنَّاسِ الا مــن اجــد وشَمَــرا

وقد اتخذ عروة بن الورد منهجاً خاصاً له، حاول ان يطبقه في كل تصرفاته، ويتلخص هذا المنهج بتمرده على البخلاء، وعطفه على المظلومين، ومقاسمتهم لآلامهم التي يعانونها، وبؤسهم الذي يقاسونه، ولم يكن تمرده تمرداً اعتباطياً ينزع الى الفوضى والاعتداء، وانما كان وسيلة لغاية انسانية وكانت ثورته على الاوضاع القائمة تستند على طريق عادل، سعى اليه بكل ما يستطيع وحاول تطبيقه بكل ما يمتلك، وقد تجلت هذه الغاية برفع الظلم عن هذه الفئة من المظلومين، وحماية الضعفاء من تسلط الاقوياء هو يحاول ان يتعرف على الاغنياء , فمن وجده منهم بخيلاً غزاه، ومن وجده منهم كريماً تركه، وكان يتسقط اخبار البخلاء، ويبعث عليهم العيون ليشد اليهم الرحال. كان عروة يُقسّم جسمه أي طعامه في جسوم الآخرين بإرادته ولولا ذلك لكان بإمكانه أن يصبح بديناً ، ولكنه بذلك سينافي مفهوم تحقيق العدالة التي طالما نادى بتحقيقها ، التي تقوم على توزيع الثروات دون أن يستأثر بشيء لنفسه ولو كان قليلاً . هذا من جهة ، ومن جهةٍ أخرى تُساعده تلك النحافة في غزواته المُفاجئة والسريعة، فيمنحه شأنه شأن بقيّة الصعاليك القدرة على العدو والجري السريع الذي عدّه الصعاليك سلاحاً من أسلحتهم . فعلامة النحول لدى الفرسان " نتيجة حتمية لجسد الفارس العربي المثال ، وهي مظهر جمالي أيضاً شكّلها الشاعر في ذهنه وفي وعيه (القيسي , 1984 , ص 314–316) ، وللعرب بعد ذلك مظاهر اجتماعية متعددة

الفوها في جاهليتهم وهي أكثر ما تبدو في جوانبها الحسنة والسيئة انعكاساً صادقاً للبيئة التي عايشوها.

فتأثراً بهذه البيئة غدوا كرماء أوفياء صبورين شجعاناً حافظين للعهد اباة وينبض شعرهم في معظمه بمثل هذه المعاني الخيرة، وكان الكرم ابرزها ففيه فخرهم الذي لا يداني ومجدهم الذي لا يرتقي، فقد اكرموا الضيف واعانوا محروم برغم حاجتهم لما يبذلونه لهذا وكذلك نظراً لشحة مواردهم.

قال لبيد مفاخراً بسجية الكرم (المولى و البجاوي ,1942 ,ص164)

وَجــزَورِ أيْسَــارٍ دَعَوْتُ لحتْفِهـــا
بِمَغَالِقٍ مُـتَشَـابهٍ أجسـامُـهـــا

أدْعُــو بِهِـنَّ لِعــاقِرٍ أوْ مَطفِـــلٍ
بذلَــتْ لجــيرانِ الجـميعِ لحوَمُهــا

فالضيفِ والـجــارِ الجنيب كأنّمـــا
هبَطَــا تبالةَ مخصِباً أهْضَامُهــا

تــأوى إلـــى الأطنَابِ كـلُّ رذيَّـــةٍ
مِـثْـلُ الـبَلِيَّةِ قَالـصٌ أهدَامُهــــا

ويكـلّلُـونَ إذا الــرياحُ تناوحَـــتْ
خُلُــجاً تمــدُّ شوارعــاً أيْتَامُهــا

الخاتمة

فقد انتهى البحث على أساس الخطة التي وضعت لكتابته، وقد وصلت إلى كثير من النتائج التي توزعت على صفحات البحث، ومن أهم تلك النتائج ما يلي:

1- أن القيم الإنسانية وجدت عند الأنسان الجاهلي على الرغم من صعوبة الحياة البدوية، والظروف القاسية التي كانت تحيط به، وامتدت هذه القيم والعادات والتقاليد المتوارثة إلى يومنا هذا.
2- كانت القبائل العربية خير عون للضعيف، ونصرتهُ وساندتهُ، بل حتى أخذت ثأره ممن ظلمه، وكان الشعراء يمدحون من نصر الضعيف، ويذمون من خذله.
3- كانت هناك تحالفات بين القبائل، للتعاون بينهم لرد أي عدوان خارجي عنهم، والذي ينقض العهد، كان الشعراء له بالمرصاد، في ذمه والحط من مكانته.

4- القبيلة كانت الحامي الرئيس لأفرادها، ولابُد للفرد ان ينتمي للقبيلة، حتى يكون في مأمن من المخاطر التي كانت تحيط بهم في تلك الحياة البدوية القاسية.
5- كان الفرد شديد الحرص على أمن قبيلته، أكثر من حرصه على أمن أفراد أسرته، لأنه يعتقد ان امنه وسلامته , مرتبطان بأمن وسلامة القبيلة، ونهوضه لا يحصل إلا نهوض قبيلته التي فيها مأمنه وحماه.
6- هناك خصال حسنة، تغنى بها الشعراء في تلك البيئة الجاهلية، وهي حماية الجار، فكان للجار حماية مميزة عند الإنسان الجاهلي، والانسان الذي تجاوز تلك الحدود، يجد نفسه عرضة لسهام الهجاء، وعورات الكلام.
7- عاش الإنسان الجاهلي بالرغم من تلك الصعاب والظروف القاسية كريماً، ومات وهو لم يفارق تلك الخصلة الحسنة.
8- المجتمع الجاهلي فرض الكرم والجود على أفراده، وأيدها العرف، وكان الشعراء يفتخرون بالترحاب بالضيف، لأنها من الخصال الحسنة.

المصادر:

- القران الكريم
- ابو ناجي ,محمود حسن .(1984)شعراء العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الاسلام ،ط1:مؤسسة علوم القران للنشر.
- البجادي ,علي محمد , (1967). جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والاسلام،ابو زيد القرشي،(ت-) . ط1. القاهرة : دار النهضة المصرية .
- بشر بن ابي خازم عمرو بن عوف الأسدي ابو نوفل: شاعر جاهلي من الشجعان من اهل نجد . توفي قتيلاً في غزوة اغار بها على بني صعصعة بن معاوية نحو 22 ق هـ .
- جاسم ,سعدون جاسم .(2011), القيم الانسانية في الشعر العربي قبل الاسلام ،اطروحة دكتوراه ،جامعة بغداد ،كلية التربية .
- جادر ,محمود عبد الله ,(1979) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهلين . بغداد :دار الرسالة للطباعة . جزور: الصالح للميسر (القمار).
- حسن ,حسين الحاج , أدب العرب في العصر الجاهلي، (1997) .ط3.بيروت : المؤسسة الجامعية للنشر .

- الدقس ,كامل ,(1975) وصف الخيل في الشعر. الكويت : دار الكتب الثقافية الكويت.
- الطفيل , بن عامر . ديوان عامر بن الطفيل (1979).م \ 1 , دار صادر للنشر.
- عسيلان ,عبد الله بن عبد الرحيم.(1981), الحماسة لابي تمام بن اوس الطائي (ت –د)،جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية المجلس العلمي .
- العسيلي ,علي .(1998) ديوان عنترة ، ط1,لبنان –بيروت : منشورات الاعلمي للمطبوعات .
- الفروسية في الشعر الجاهلي، د. نوري حمودي القيسي، ص314–316 .
- فنجان ,رحيق صالح , (2011) شعر الفرسان في العصر الجاهلي الوظائف والدلالات، ،ماجستير ،كلية الاداب جامعة ذي قار.
- القيسي ,نوري حمودي (1984) ,الفروسية في الشعر الجاهلي ، ط2 . القاهرة : ،مكتبة النهضة العربية .
- المولى ,محمد والبجاوي علي ,(1942) أيام العرب في الجاهلية , ط1 . مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي.
- اللهيبي , منى بنت بخيت ,(2008), الفروسية في الشعر بين أبي فراس الحمداني وأسامة بن منقذ(دراسة موازنة)، ماجستير، جامعة أم القرى.
- الاصبهاني , ابو فرج , (1955) الاغاني ..بيروت : دار الثقافة –بيروت.

References:

- The Holy Quran
- Abu Naji, Mahmoud Hassan. (1984) Arab poets, the Knights in the Pre-Islamic and Early Islam, 1st Edition: Foundation for Quran Sciences for Publishing.
- Al-Bajadi, Ali Muhammad, (1967). The Poetry of the Arabs in Pre-Islamic Period and Islam, Abu Zaid Al-Qurashi, (d-). i 1. Cairo: The Egyptian Renaissance House.
- Bishr bin Abi Khazim Amr bin Auf Al-Asadi Abu Nawfal: a pre-Islamic poet among the brave people of Najd. He died in a raid in which he attacked Bani Sa'sa'a bin Muawiyah around 22 BC.
- Jassem, Saadoun Jassim. (2011), Human Values in Arabic Poetry before Islam, PhD thesis, University of Baghdad, College of Education.
- Jader, Mahmoud Abdullah, (1979) the poetry of Aws bin Hajar and its ignorant narrators. Baghdad: Dar Al-Resala for printing.
- Jazour: good for gambling.

- Hassan, Hussein Al-Hajj, Arab literature in the pre-Islamic era, (1997). 3rd Edition. Beirut: University Institution for Publishing.
- Al-Daqs, Kamel, (1975) Description of the horse in poetry. Kuwait: House of Cultural Books, Kuwait.
- At-Tufail, Ibn Amer. Diwan of Amer Ibn Al-Tufail (1979). AD / 1, Sader Publishing House.
- Usailan, Abdullah bin Abdul Rahim. (1981), the enthusiasm of Abu Tammam bin Aws Al-Tai (d.), Imam Muhammad bin Saud Islamic University, the Scientific Council.
- Al-Osaili, Ali. (1998) Antara Diwan, 1st floor, Lebanon - Beirut: Al-Alamy Publications. Chivalry in pre-Islamic poetry, d. Nouri Hamoudi Al-Qaisi, pp. 314-316.
- Fenjan, Raheeq Saleh, (2011) The Poetry of the Knights in the Pre-Islamic Era, Functions and Signs, Master's degree, Faculty of Arts, University of Dhi Qar. Fif Al-Rih: It is the place where the incident took place.
- Al-Qaisi, Nouri Hamoudi (1984), chivalry in pre-Islamic poetry, 2nd ed. Cairo: The Arab Renaissance Library.
- Al-Mawla, Muhammad and Al-Bajawi Ali, (1942) The Days of the Arabs in the Pre-Islamic Period, 1st Edition. Egypt: Issa Al-Babi Al-Halabi Press.
- Al-Lhaibi, Mona bint Bakhit, (2008), chivalry in poetry between Abi Firas Al-Hamdani and Osama bin Munqith (balancing study), MA, Umm Al-Qura University.
- Al-Asbahani, Abu Faraj, (1955) the songs.. Beirut: House of Culture - Ber

Moral Values in the Poetry of the Preachers

Dr. Ahlam Hadi Ibrahim
University of Baghdad, College of Education Ibn-Rushd
ahlam.hadi@ircoeu.uobagdad.edu.iq

Abstract

Poetry is an artistic picture that reflects the life of its companions, their environment, their aspirations, their visions and their interaction with the data of this life. The realistic poetic experience is coherent and carries an artistic impact and semantic data that show the greatness and sophistication of the given experience and the depth of its thought and philosophy of its owners. Talking about moral values is a modern narrative that is as old as humanity and hearts receive it with pleasure and pleasure because it is a modern instinct and it has been linked to humanity from its birth to the present day. The knights felt the theme of the research and its material its functions and meanings varied and its connotations and buildings varied. I am related to the physical emotional and intellectual conditions of the people and the issues of their existential reality for many semantic states in their poetry are related to their reality and the paths they have taken in order to deal and interact with lived reality, with all its data and manifestations. Accordingly, the researcher tried to apply an analytical methodology to clarify and unveil those ethical values embodied technically in the structure of the poetic text and embodied in its actual form in the lived reality, with the demonstration of the knights' poetic ability to color the poetic text in rich images, interacting with the desert environment.

***Keywords**: Ignorance, The knights, Values, Morals*